النقد الاسلامي للعهد القديم

د/ بلخير بقة، جامعة ابن خلدون تيارت

ملخص:

شكل ذلك التحريف والتبديل الذي احتواه العهد القديم مجالا خصبا للعلماء المسلمين الذين كانوا السباقين في مجال نقد العهد القديم، وقد تأتى لهم ذلك من خلال وقوفهم على ما ورد في القرآن الكريم الذي قدم أول صورة نقدية إسلامية للتوراة، كما كان للجدال الديني الدائر بين أنصار الديانات السماوية الثلاث دور هام في مجال نقد العلماء المسلمين للكتاب المقدس عامة، والعهد القديم بصفة خاصة، وبذلك تمكن المسلمون من الوصول إلى نتائج باهرة في مجال النقد التوراتي، وعلى خطى منهج العلماء المسلمين في النقد سار كذلك العديد من العلماء اليهود والنصارى الذين تبنوا نفس المنهج في نقدهم للعهد القديم.

الكلمات المفتاحية: العهد القديم، التوراة، ابن حزم، الجويني، النقد..

Abstract:

This distortion and alteration of the Old Testament constituted a fertile ground for Muslim scholars who pioneered the criticism of the Old Testament. They came to this by standing on what was stated in the Holy Qur'an, which presented the first Islamic Islamic version of the Torah, The three heavenly role played an important role in the criticism of Muslim scholars of the Bible in general, and the Old Testament in particular, thus enabling Muslims to reach remarkable results in the field of biblical criticism, and in the footsteps of the approach of Muslim scientists in criticism also followed many Jewish scientists and Christians who adopted the same term In their criticism of the Old Testament.

key words: The Old Testament, The Torah, Ibn Hazm, Al-Juwaini, Criticism ..

مقدمة:

يعتبر العهد القديم كتاب ديني يهدف إلى نشر تعاليم العقيدة التي يعمل بها اليهود، لكن رغم أنه كتاب عقيدة إلا أن ذلك لا ينفي عنه الصبغة التاريخية، لذلك وجب وصف هذا الكتاب بأنه إرث ثقافي لأحد شعوب الشرق الأدنى القديم، وحدثا مهما من الأحداث التي لازمت تطور المعتقدات الدينية عبر التاريخ، هذا ناهيك عن أهميته كمصدر تاريخي رغم مصداقيته النسبية، إذ أن عملية جمع وتدوين أسفار العهد القديم استمرت لفترات طويلة تزيد عن ألف عام تعرض اليهود خلالها إلى كثير من الوقائع والأحداث والهزائم أدت إلى تعرض كتاباتهم للفقدان والتلف والإحراق والنهب، وخضّعوها للزيادة والحذف، حيث فقدت التوراة من تابوت العهد أيام سليمان، وتعرضت القدس (أورشليم) للانقسام وحملات التدمير من قبل اليهود أنفسهم أو الآشوريين أو الكلدانيين. ومن خلال هذا يتبين بما لا يدع مجالاً للشك أن العهد القديم كتاب ليس له أي سند تاريخي يثبت تسلسل نقله، وأنه تعرض لفترات

عديدة من الضياع، وأن أصله العبري لا وجود له بأيدي اليهود، مما يجعل المجال واسعاً للتحريف والتبديل؛ أي أن تاريخ بني إسرائيل المليء بالتقلبات الدينية والسياسية كان له الأثر في مواقفهم الدينية، وقد انعكس ذلك على التوراة فتأثرت من تلك التقلبات والمواقف.

وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى التحريف والتبديل التي تعرضت له التوراة، إشارات وأدلة من القرآن كانت سببا في نشاط علماء المسلمين في مجال نقد العهد القديم ككل، وخاصة التوراة (أسفار موسى الخمسة)، إذ كان عليهم كشف نقاط الضعف الموجودة في الكتاب، سواء كانت نقاط ضعف عقائدية، أو تاريخية، وغيرها، وقد نبغت فئة كبيرة من المسلمين في مجال النقد التوراتي كان أبرزهم ابن حزم الذي كان أول الكتاب المسلمين الذين استخدموا منهجا نقديا علميا، كما أنه في الوقت نفسه أول من كان لديه معرفة حقيقية بالنص التوراتي، خاصة أسفار التوراة الخمسة. ومن هنا كان لنا أن نتساءل: ما هو المنهج الذي استخدمه العلماء المسلمين في نقدهم للعهد القديم؟

I - مفهوم النقد:

1- النقد لغة: للنقد في اللغة معنيان مترادفان يشيران إلى معنى واحد وهما كما يلي:

أنه جاء بمعنى التمييز والتنقية: النقد خلاف النَّسِيئة، والنقد والتنقاد تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها[1]. وجاء بمعنى الفحص والاختبار: نقد الشيء نقدا؛ أي اختبره ليميز جيده من رديئه، يقال نقد النثر والشعر؛ أظهر ما فيهما من عيب أو حسن[2]. وإذا رجعنا إلى اشتقاق كلمة نقد في المعاجم الغربية نجدها تتفق مع معناها في العربية، على أن الكلمة في أصلها الإغريقي (Kritik) تعني الحكم[3]. فالنقد هو الحكم الذي يميز بدقة بين الصحيح والخطأ[4].

2- النقد اصطلاحا: يعرف فريد الأنصاري النقد في كتابه أبجديات البحث في العلوم الشرعية بأنه:"هو عملية تقويم وتصحيح وترشيد، وعليه فإنه لا يكون بمعنى النقض؛ بل هو محاكمة إلى قواعد متفق عليها أو إلى نسق كلي، ذلك أن النقد.. نقد اجتهاد ما جزئيا كان أو كليا في أي مجال من مجالات العلوم الشرعية إنما هو عملية محاكمة وتقويم تهدف إلى التصحيح والترشيد من خلال مواطن الخطأ والصواب، بناء على مقاييس متفق على جلها أو كلها"[5].

وميّزت موسوعة لالاند الفلسفية بين نوعين من النقد فهناك النقد الحسن وهو: "عدم التسليم بأي تقرير دون التساؤل أول الأمر عن قيمة هذا التقرير سواء من حيث مضمونه (نقد داخلي)، أو من مصدره (نقد خارجي)"، أما النوع الثاني فهو النقد القبيح: "ويكون أميل إلى إبراز العيوب منه إلى إبراز المحاسن أو إلى وضع شيء إيجابي بنفسه"[6]. أما في المعجم التوراتي النقد: "يعني الحكم، وأصبح يشير في اللغة الفرنسية على الحكم القاسي والهدام، في حين أن معناه لدى الأوساط العلمية خاصة لدى رجال التفسير فهو الحكم الذي يقدر ويعطي الصورة الحقيقة للحالة المدروسة من حيث قيمتها وحدودها وغناها وفقرها"[7]. وعليه يمكن القول أن الناقد هو ذلك العالم الذي يصدر يحكمه بعد فحصه للأعمال

الأدبية والفنية، ويهتم بمناقشة الأحداث التاريخية الغامضة والتواريخ وأصالة النص المدروس وصحة مخطوطاته[8].

3- النقد التوراتي: تختلف التعاريف المعطاة للنقد التوراتي باختلاف إيمان معرّفيه وعقيدتهم، إذ تعرفه موسوعة (La Grande encylopédie Larousse) بأنه: "الدراسة المنهجية للنص المقدس بغرض معرفة مفهومه ومحتوياته"[9]. وقد جمع يوسف الكلاّم مجموعة من التعاريف للنقد التوراتي منها تعريّف ريتشارد سيمون بقوله: "العناية المطلوبة من أجل تصحيح الأخطاء التي تسربت إل الكتب المقدسة". وعرّفه أيضا: "معرفة كيفية التوفيق بين ما نعلمه وما فرض علينا الإيمان به". بينما يعرفه بعضهم بقولهم: "النقد التوراتي هو بيان أن نصوص التوراة ليست صحيحة، أو أنها بدلت خلال انتقالها عبر الأزمنة، أو لإبطال دعوى أنها موحاة من الله". بينما يعرفه البعض الآخر: "النقد التوراتي علم يسعى إلى تحديد طرق وصول النص إلينا، وتحديد قيمته وفائدته الأدبية والتاريخية واللاهوتية، ويشمل نقد النص، والنقد الأدبي، والنقد التاريخي، والنقد الداخلي، والنقد الخارجي".

وإجمالا يمكن القول أن النقد التوراتي هو الحكم على التوراة حكما يقوم أساسا على العلم لا على الظن فقط، ولقد ساهمت المناهج النقدية مع بعض العلوم الإنسانية الأخرى في إعطاء أحكام على الكتاب المقدس أقرب إلى الصحة، نخص منها علوم التاريخ والفيلولوجيا والأركيولوجيا وعلم اللغات القديمة[10].

II - موقف القرآن من العهد القديم:

يعظم القرآن الكريم جميع الأنبياء ويثني عليهم وعلى كتبهم، ويجعل الإيمان بهم وبكتبهم جزءا من إيمان المسلم، وهو أمر متفق عليه بين جميع المسلمين، إذ لا نجد فيهم على اختلاف فرقهم أحدا يفرق بين أحد من رسل الله، فيؤمن ببعضهم دون البعض[11]، يقول تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)**﴾[12]. وقد أكثر القرآن من ذكر التوراة والإنجيل والثناء عليهما أكثر من الكتب السماوية الأخرى التي نزلت على الأنبياء الآخرين[13]، فقد ورد ذُكر لفظ التوراة في القرآن الكريم ثمانية عشر مرة[14]، وحكم القرآن الكريم الصريح بالتوراة المنزلة من الله بأنها هدى ونور وضياءً أو فرقانا يفرق بين الحق والباطل، وذكر ورحمة وإمام ومباركة وتبيان لكل شيء، وهي دستور حياتي لبني إسرائيل شرعت لهم الأحكام ووضحت لهم الحلال والحرام، وأن الألواح التي نزلت على موسى عليه السلام فيها تفصيل لكل شيء وهدى ورحمة، وإن فيها حكم الله، يلتزم به الأنبياء وأتباعهم منذ نزولها حتى الإنجيل، الذي حرّم بالنسخ بعض ما فيها، واستمرت بقية أحكامها نافذة حتى بعثة محمد ﷺ مهيمنا عليها وعلى الإنجيل ليكون القرآن هو الحكم[15]. يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا**

النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)﴾[16].

وللقرآن الكريم حكم آخر صريح في التوراة الحالية التي تم تحريفها، والتي أخفى منها اليهود كثيرا من الأحكام والأخبار، والتي نسوا منها وحرفوا فيها وغيّروها، وحكم القرآن الكريم في هذه القضية يفوق كل الأحكام العلمية موضوعية أمانة وعدلا[17]، يقول تعالى: **﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)﴾**[18]، أي أن اليهود يتلون كلام الله على غير تأويله، وبمعنى آخر فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه على بصيرة[19]. ويقول كذلك عن تحريفهم: **﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)﴾**[20]. والآية تدل على نفس معنى الآية السابقة، فالمقصود بها تفسير اليهود الكلام بغير مراد الله[21].

وعلى ذلك يمكن القول أن القرآن الكريم قدم أول صورة نقدية إسلامية للتوراة، وأعطى أصولا علمية منهجية لنقده، ووضع اللبنات الأولى والركائز الأهم للجهود الإسلامية في نقد كتاب اليهود المقدس، وخصوصا التوراة من خلال القواعد القرآنية التي أرساها، والتي تمكن علماء تاريخ الأديان المسلمين عن طريقها من الوصول إلى نتائج باهرة في هذا المجال، حيث انطلق العلماء المسلمون من تلك الآيات وغيرها من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية في نقدهم للتوراة، وما يتبعها من الأسفار المقدسة عند اليهود، واستخرجوا منها الأدلة والشواهد على تحقيق ما ذكره الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم من وقوع التحريف والتبديل والكذب في كتبهم، ونستطيع أن نقرر بكل ثقة أن الأسبقية في نقد الكتاب المقدس بصفة عامة، وبالخصوص التوراة كان لعلمائنا المسلمين بهدي من القرآن الكريم الذي وضع أصول ذلك النقد الهادف إلى إظهار الحق، وقد تأثر أحبار اليهود والنصارى ومفكريهم بالمسلمين في دراساتهم النقدية للتوراة والأناجيل، ومن ثم تجرؤوا على المشاركة في تلك الدراسات النقدية لكتبهم المقدسة بعد أن تخلصوا من طغيان الكنيسة وسيطرتها، واستطاعوا إعلان نتائج دراساتهم التي سبقهم إليها كثير من علماء الإسلام بقرون عديدة، بل واستطاعت جهود العلماء المسلمين في القرون الماضية أن تضاهي نتائج حركة النقد التوراتي في عصرنا الحالي.

III- الدراسات النقدية الإسلامية للعهد القديم:

1- القواعد المنهجية لنقد النصوص عند المسلمين:

عرف المسلمون العديد من العلوم الدينية، والتي تناولوها في وقت مبكر بطريقة تختلف عن باقي الشعوب، إذ كتب المسلمون عن الدّين بطريقة وصفية واقعية منعزلة عن سائر العلوم والفنون وشاملة

لكافة الأديان المعروفة في عهدهم، فكان لهم بذلك السبق قبل الغرب في تدوين الدين كعلم مستقل، تدوين ابتعد عن الخيال والظن والأخبار العامة وما شابه ذلك، بل كانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من المصادر الموثوقة بها، وبعد أن جعلوا الدّين علما مستقلا حاولوا وضع مناهج علمية لدراسته. والاهتمام بهذا المجال تؤيده المؤلفات الكثيرة المختصة في علم الملل والنحل (علم الأديان)، إلى جانب المؤلفات الكلامية التي نجد فيها الرد على العقائد المحرفة ونقدها، هذا الرد الذي يستند إلى نفس التقنيات المنهجية التي ظهرت في الغرب حديثا، من نقد للنصوص ومقارنتها والنظر في متنها وسندها بغرض إثبات مصداقيتها، والكثير من هذه المؤلفات سُلطت عليها الدراسة من طرف باحثين مسلمين وغربيين، ومنها دراسات مقارنة مثلا بين منهج المسلمين والغربيين المحدثين.

لكن رغم توفر هذا المؤلفات التي اهتمت بتاريخ الأديان وتصنيفها ومقارنتها إلى جانب المؤلفات الكلامية، الجدلية التي اهتمت بنقد النص، وإثبات التحريف، إلا أن الفضل في تأسيس المنهج لا يعود لهؤلاء المؤرخين أو المتكلمين، إذ أن إبداع وتطبيق منهج نقدي للأديان كانت نواته وبدايته مع علماء الحديث الذين ابتكروا منهجية لم تعرف من قبل، بهدف تخريج الأحاديث[22]، ذلك أن المسلمين أرادوا الحفاظ على مصادر الشريعة وصيانتها من التحريف، فأبدعوا هذا المنهج ووضعوا ما عرف بمصطلح الحديث دراية ورواية؛ وذلك بدراسة السند والمتن وبيان العلل التي تؤثر في صحة الحديث ودرسوا حال الرجال، ووضعوا قواعد للجرح والتعديل[23]، وبينوا درجات الحديث من حيث القبول والرد، وهذه المنهجية العلمية في قبول الحديث ورده كانت مؤسسا لعقلية نقدية وسّعت من دائرة اهتمامها لتشمل الوثائق التاريخية المتعلقة بتاريخ المسلمين وتاريخ غيرهم. وعليه أُعتبر المسلمون أول من وضع منهجا علميا دقيقا لتمحيص الأخبار وتحليلها، وهو منهج تنفرد به الحضارة الإسلامية[24]، وهو ما يؤكده فؤاد سزكين في قوله: "أن الأبوة الشرعية لقوانين ضبط صحة رواية الإسناد تقع في الفكر الإسلامي، وهذا جانب تنفرد به الحضارة الإسلامية، ولا يعرف له في الحضارات الأخرى شبها"[25].

وتأسيسا على ذلك فقد اعتمد العلماء المسلمون في منهجهم النقدي على قواعد حاسمة للجرح والتعديل، وقسموا في نقدهم لأي وثيقة تاريخية وتحليلها قبل الاطمئنان إلى ما فيها والوثوق بما تضمنتها إلى قسمان أساسيان هما:

أ- النقد الخارجي (نقد السند أو الرواية): وهو ما يتعلق بالناحية الشكلية للوثيقة، فلا يكفي أن تكون لدينا الوثائق صحيحة كما كتبها واضعها، وإنما يجب أن يضاف إلى هذا معرفة مصدر الوثيقة ومؤلفها وتاريخها. ذلك أن الوثائق تختلف في قيمتها اختلافا واسعا من حيث صحة نسبتها إلى واضعها الأصلي أو إلى من ذكر اسمه كواضع لها[26]. يقول عبد الرحمن بدوي:"... فعلينا إذن أن نقوم بعملية امتحان قاس لكل هذه الوثائق المتخلفة عن الحادث موضع الدرس، وذلك بأن نسأل أولا: هل الوثيقة صحيحة، أي كما كانت في الأصل؟ وإذا لم تكن كذلك فماذا عسى أن يكون النص الصحيح؟ ثم تحقق المصدر الذي تنسب

إليه الوثيقة، وهذا ما يكون النقد الخارجي (critique externe) أو نقد التحصيل (critique d'érudition) أو النقد الفيلولوجي (critique philologique)"[27].

ب- النقد الداخلي (النقد الباطني أو نقد المتن): وهو ما يتعلق بامتحان النص من داخله ببيان عدم التناقض، وعدم المناقضة للحقائق العلمية والوقائع التاريخية. فالنقد الداخلي لإثبات صحة الوثيقة[28]، وفي هذا يقول عبد الرحمن بدوي: "وعلينا بعد هذا كخطوة ثانية أن نسأل، أولا: ما معنى هذا النص؟. ثانيا: هل آمن به صاحبه؟. ثالثا: هل كان محقا في إيمانه به؟. وهذه المسائل الثلاث هي التي تكون ما يعرف باسم النقد الباطني، (critique interne)، وبواسطة هذين المنهجين (أي النقد الداخلي والخارجي) نستطيع أن نصل أولا إلى تحديد دقيق لصحة الوثيقة التاريخية، وهذا يتم بفضل النقد الخارجي، وثانيا إلى فهم معنى الوثيقة، وهذا ما يقوم به النقد الباطن، ولهذا انقسم النقد التاريخي إلى قسمين: النقد الخارجي والنقد الباطن"[29].

2- نماذج من النقد الإسلامي للعهد القديم:

بعدما تلقى علماء الإسلام الإشارات القرآنية التي كشفت عن عدم صحة نسبة العهد القديم إلى الأنبياء، وخطأ ذلك الإسناد، إما جزئيا ويتمثل في التحريف والتزييف المتعمد[30] وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155)**﴾[31]. أو كليا كما في بعض الكتب والأسفار الكاملة التي كتبوها، وادعوا نسبتها إليه تعالى[32]. يقول تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79)**﴾[33].

لذلك قام العلماء المسلمون بفحص إسناد كتب وأسفار العهد القديم استنادا إلى وجوه من النقد الداخلي والخارجي، وقادهم الفحص إلى نتائج باهرة جعلت منهم بلا شك المؤسسين الحقيقيين لعلم النقد التاريخي للعهد القديم. فكان بذلك اهتمام الكثير من المفكرين المسلمين بموضوع نقد الكتاب المقدس انطلاقا من هذا الأساس، فكتبوا وأبدعوا كتبا جديرة بالدراسة.

ومن هذه الأعمال نجد: كتاب (الفصل في الأهواء والملل والنحل) لابن حزم، كتاب (شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل) لإمام الحرمين الجويني، كتاب الشهرستاني (الملل والنحل)، وكتاب (المقالات في أصول الديانات) للمسعودي، وكتاب البيروني (الآثار الباقية على القرون الخالية)، وكتاب (الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح) لنعمان الألوسي ابن الإمام الألوسي صاحب التفسير، وكتاب (الحيارى في الرد على اليهود والنصارى) لابن القيم الجوزية، وكتاب (الأعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام) للقرطبي، وأيضا (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) للرازي، وكتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية... وتوالت بعدها جهود علماء الإسلام في هذا المجال في دراسات نقدية عميقة للكتاب المقدس عموما[34]، ولأن المجال لا يسعني هنا لتتبع كل إسهامات العلماء المسلمين في هذا المجال نظرا للكم

الهائل من المؤلفات التي اهتمت بنقد العهد القديم، لذا ارتأيت أن أتناول نموذجين فقط حسب شهرة الكتاب وانتشاره، ومكانته عند علماء المسلمين.

أ- منهج ابن حزم في نقد العهد القديم:

أ-1- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي، عاش بين سنتي (384هـ-456هـ) في قرطبة في عهد وزارة أبيه للحاجب المنصور بن أبي عامر من ولاة الدولة الأموية في الأندلس، له مؤلفات في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل والتاريخ والنسب والأدب والرد على المعارض، ومن أبرز هذه المؤلفات: (المحلى)، (طوق الحمامة)، (جوامع السير)، (النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية)، (الناسخ والمنسوخ، (نسب البربر)، (فضل العلم وأهله)[35]، (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، وهو من أبرز كتبه التي اتضحت فيه اتجاهات نقد التوراة وبقية أسفار العهد القديم.

أ-2- منهجه: رغم ضخامة التراث النقدي الإسلامي للكتب اليهودية والمسيحية إلا أنها لم تنظم في شكل علمي ومنهجي له أصوله ومبادئه الثابتة إلا بعد مرور أربعة قرون كاملة مع المؤسس الحقيقي لعلم نقد الكتاب المقدس وهو ابن حزم الأندلسي الذي يعد من كبار المفكرين والموسوعيين[36]، والذي يعد دعامة علم تاريخ الأديان عند المسلمين، وصاحب جهد عظيم في بناء منهج الدراسة النقدية الموضوعية لأسفار الكتاب المقدس ما يجعله الدارسَ الأكبرَ في هذا الحقل العلمي[37].

لقد قام ابن حزم بدراسة التوراة دراسة وثائقية تقوم على أساس التحليل العلمي، حيث قام بتفنيد الأساطير التي وردت في التوراة بطريقة علمية موضوعية، معتمدا على منهج النقد التاريخي المستمد أساسا –كما ورد سابقا- من منهج علماء الحديث، وخاصة فيما يتعلق بأصول الرواية، وضرورة اتصالها، والتثبيت من أحوال الناقلين للأخبار (نقد السند)، وبالتالي الجمع بين نقد المتن والسند، فكان أن غطت دراسته النقدية للتوراة المستوى النصي والمصدري والديني والتاريخي والجغرافي والأخلاقي واللغوي والأدبي، وهي نفس الاتجاهات التي قامت عليها حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب التي أسسها المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن، ولا تختلف هنا سوى في التفاصيل التي حصل عليها النقاد في العصر الحديث من خلال التقدم في علمي التاريخ والآثار وفي منهج النقد التاريخي والأدبي، وكذلك التقدم في الدراسات اللاهوتية والدينية والفلسفية[38]. وقد كان ابن حزم يرمي من خلال مناقشته لليهود ونقد كتبهم إلى تحقيق هدفين هما:

- أن جمهور أهل الكتاب كانوا يرون أن التوراة التي بين أيديهم هي المنزلة على موسى عليه السلام، وأن موسى عليه السلام هو الذي كتبها وسلمها إلى الأحبار اليهود، ثم حفظت من بعده حتى وصلت إليهم، فأراد إبطال هذا الإدعاء وإثبات الوضع والتحريف بأشكاله المختلفة لها في أيديهم.

- ثمة تلازم بين عقيدة كل قوم وكتابهم المقدس، فإذا ثبت بطلان الكتاب وتحريفه، فهذا يعني فساد العقيدة التي تقوم عليها[39].

أ-2-1- النقد الخارجي (السند): يمكن تلخيص النقاط التي اتبعها ابن حزم في نقده لسند التوراة بما يلي:

- اطلع ابن حزم على نسختين للتوراة، وقد سجل وصفا دقيقا لإحدى هاتين النسختين قلما نعثر عليه في كتابات المفكرين المسلمين[40].

- التطرق للمراحل السياسية التي مر بها اليهود، وذلك في قوله: "ونحن نصف إن شاء الله تعالى حال كون التوراة عند بني إسرائيل من أول دولتهم إثر موت موسى عليه السلام إلى انقراض دولتهم، إلى رجوعهم إلى بيت المقدس، إلى أن كتبها لهم عزرا الوراق بإجماع من كتبهم، واتفاق من علمائهم، دون خلاف يوجد من أحد منهم في ذلك، وما اختلفوا فيه من ذلك نبهنا عليه ليتيقن كل ذي فهم أنها محرفة مبدلة"[41].

فمن خلال استعراض وتتبع ابن حزم للتاريخ السياسي والديني لليهود، يصل إلى أن نص التوراة الأصلي، الذي أنزله الله على موسى عليه السلام قد تعرض من الناحيتين الزمانية والمكانية لظروف تجعلنا لا نثق به[42]، ويمكن أن نلخص أهم القواعد التي اعتمدها في إبطاله صحة سند التوراة:

أولا: من أجل التأكيد على تحريف التوراة وتبديلها وتجهيل مؤلفها وجه ابن حزم جهده في نقده لسند التوراة إلى دراسة العوامل التاريخية والظروف التي مرت بها التوراة منذ وفاة موسى عليه السلام إلى أن فقدت نهائيا، وأكد ابن حزم أن الأحداث التاريخية كانت مهيئة للتحريف:

1- حال الملوك والحكام والقضاة من بعد موسى عليه السلام إلى طالوت، وتبدل أحوالهم بين الكفر والإيمان وخصوصا أحوال الملوك بعد موت موسى عليه السلام، وقد أحصى ابن حزم سبع ردات لهم إثر موت موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاؤول، سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا عبادة الأصنام، وهي:

أ- بعد موت فنحاس بن العازار بن هارون، واستمرت ردتهم ثمانية أعوام، كفروا خلالها وارتدوا وعبدوا الأوثان علانية.

ب- بعد موت عثنئيل بن كنار، ارتدوا ثمانية عشر عاما.

جـ- بعد موت شمجر بن غاث، استمرت ردتهم عشرين عاما.

د- بعد موت دبورة، ارتدوا سبعة أعوام.

هـ- بعد موت أبي مالك بن جدعون، عادوا للردة وعبادة الأوثان ثلاثة أعوام وربما أكثر.

و- بعد موت بابين بن جلعاد، ارتدوا ثمانية عشر عاما.

ز- بعد موت عبدون بن هليل، استمرت ردتهم أربعين عاما. ثم يتساءل ابن حزم بعد إحصاءه للردات بقوله: "أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر، ورفض الإيمان، هذه المدد الطوال، في بلد صغير، مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط ليس على دينهم وإتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم؟!"[43]

2- يتتبع ابن حزم حال ملوك يهوذا بعد موت سليمان عليه السلام وأديانهم إلى تدمير أورشليم[44]، فبعد موت سليمان عليه السلام، حدث الانقسام، وتداول على حكم مملكة يهوذا حوالي عشرون ملكا بداية من رحبعام إلى صدقيا، ثم يصف لنا الوضع الديني بصفة عامة في هذه الفترة في قوله: "وظهر يقينا أن بني يهوذا وبني بنيامين كانت مدة ملكهم بعد موت سليمان عليه السلام أربعمائة سنة.. وكانوا كفارا (الملوك) معلنين عبادة الأوثان حاش خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين ولا مزيد.. فعمّهم الكفر وعبادة الأوثان: في أولهم وآخرهم، فأي كتاب، وأي دين يبقى مع هذا؟! ولم يل بعد يوشيا المؤمن إلا كافر معلن عبادة الأوثان، منهم من نشر أسماء الله من التوراة!!، ومنهم من أحرقها وقطع أثرها!!.. إلى أن انقطع أمرهم بغارة بختنصر وسبوا كلهم، وهدم البيت واستأصل أثره"[45].

3- بيان حال ملوك الأسباط العشرة الذين لم تكن أحوالهم أفضل من غيرهم، فقد ظهر فيهم الكفر والردة وعبادة الأوثان، فبعد الاستقراء التاريخي التفصيلي من ابن حزم لحال ملوك الأسباط العشرة من أولهم يربعام بن نباط إلى آخرهم هوشع يعلق على ذلك ويقول: " فقد صحَّ يقينا أنَّ جميع أسباط بني إسرائيل – حاشا – سبط يهوذا وبنيامين ومن كان بينهم من بني هارون بعد سليمان عليه السلام مدة مائتي عام وواحد وسبعين عاما لم يظهر فيهم قط إيمان ولا يوما واحدا فما فوقه وإنما كانوا عباد أوثان"[46]، وقال: "لم يكن فيهم مؤمن قط ولا واحد فما فوقه؛ بل كانوا كلهم معلنين بعبادة الأوثان مخيفين للأنبياء مانعين القصد إلى بيت المقدس لم يكن فيهم نبي قط إلا مقتولا أو هاربا مخافا"[47].

ثانيا: عدم الثقة بالتوراة المنسوبة لموسى عليه السلام، لأنها لم تصل بالتواتر فلا يوجد العدد الذي يؤمن تواطؤهم على التحريف، وإنما كانت تحفظ عند الكاهن الأكبر وحده في الهيكل[48]، فيقول:" فاعلموا الآن أن التوراة لم تكن من أول دولتهم إلى انقضائها إلا عند الهاروني الكاهن الأكبر وحده في الهيكل فقط"[49]، لكن هنا يطرح سؤال: هل كان الكاهن الأكبر على امتداد تاريخ بني إسرائيل أمينا على حفظ التوراة التي لم تكن توجد عند أحد غيره؟. فيجيب ابن حزم بقوله: "قد كان في الكهنة الهارونيين ما كان في غيرهم من الكفر والفسق وعبادة الأوثان.. أن من هذه صفته فلا يؤمن عليه تغيير ما ينفرد به"[50].

ثالثا: وقوع غارة نبوخذ نصر (بختنصر) وخراب بيت المقدس، وهو المكان الذي كانت تصان فيه النسخة الوحيدة للتوراة، والتي كانت محفوظة في الهيكل حيث تم إحراقها، وبعد ذلك كانت كتابة التوراة من عزرا الوراق والتي أملاها على اليهود من حفظه، "وكانت كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين من خراب بيت المقدس!! وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم أو لم يصلحها إلا بعد نحو أربعين سنة من رجوعهم إلى البيت، بعد السبعين عاما التي كانوا فيها مسبيين، ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلا ولا القبة ولا التابوت"[51].

لقد قدم ابن حزم مجموعة من البراهين في نقده لسند التوراة أكد من خلالها على تحريف التوراة، إذ يقول: "هذه كلها براهين أضوء من الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها"[52]، فعدم حفظ التوراة، وضياعها يعود لأسباب كثيرة أهمها ما تعرض له بنو إسرائيل من سبي وقتل واضطهاد عبر

التاريخ، كما أن ملوكهم لم يكونوا أهلا لحفظ التوراة، بل كانوا يتنقلون من حال سيء إلى أسوء منه، وهذا يؤكد أن التوراة الموجودة بأيدي اليهود اليوم إنما هي تأليف عزرا الوراق التي كتبها أبَان السبي البابلي لليهود[53].

أ-2-2- النقد الداخلي (المتن): النظر إلى النصوص ذاتها وما فيها من تناقض واختلاف ومغايرة للواقع الذي كشف عنه من داخل التوراة ذاتها، فقد كان يحصي الاختلافات والفروق ويتبعها بدقة، فإذا وجد خطأ كشفه، ثم ساقه دليلا على بطلان الكتاب وتحريفه، وبذلك استطاع أن يبرهن على أن التوراة تحمل بين طياتها دليل بطلانها، وفيما يلي مواضيع النقد الذي وجهه ابن حزم إلى النص التوراتي:

- **الاساءة للذات الإلهية:** لاحظ ابن حزم أن التوراة تمتلئ بالتعبيرات التي يمس منطوقها ومفهومها معا قداسة الذات الإلهية، وما ينبغي لها من سمو وتنزيه، فهي تنسب إليه تعالى، فنسبت إليه التشبيه والتجسيم، والأوصاف البشرية كنسبة البداء، والتعصب والنصب، وظهوره ليعقوب على صورة إنسان ضعيف، ونسبة الندم والخشية من اللعن، ووصفه بالكذب والندم على ما فعل، والطعن في علم الله، وأن له الأبناء، وتذكر نبوءات له لم تتحقق[54]، وكمثال على ذلك:

- ففي نسبة الكذب يقول كاتب التوراة أنَّ الله تعالى قال لإبراهيم : **[13 فَقَالَ لأَبْرَامَ: «اعْلَمْ يَقِيناً أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيباً فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ. 14 ثُمَّ الأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلاَكٍ جَزِيلَةٍ. 15 وَأَمَّا أَنْتَ فَتَمْضِي إِلَى آبَائِكَ بِسَلاَمٍ وَتُدْفَنُ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ. 16 وَفِي الْجِيلِ الرَّابِعِ يَرْجِعُونَ إِلَى هَهُنَا لأَنَّ ذَنْبَ الأَمُورِيِّينَ لَيْسَ إِلَى الآنَ كَامِلاً»]**[55]. فيرد ابن حزم على ذلك بقوله : "في هذا الفصل على قلَّته كذبتان فاحشتان شنيعتان منسوبتان إلى الله تعالى وحاشا لله من الكذب والخطأ"، ويوضح وجه الكذب في ذلك : أنه لم يرجع من الجيل الرابع أحد إلى الشام، وأن فترة التعذيب فيها كذب فاحش[56].

- تشبيه التوراة أحيانا الإنسان بالخالق، ومن ذلك نجد: **[26 وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ»]**[57]. وفي قول التوراة كذلك: **[22 وَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: «هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفاً لْخَيْرَ وَلشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضاً وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ»]** [58].

- **الاساءة للأنبياء:** تمتلئ التوراة بعدد كبير من النصوص التي تصور الأنبياء تصويرا لا يتفق وعصمتهم أو مقامهم الديني الجليل، بل إنها تذهب إلى أبعد من ذلك فتنسب إليهم العديد من الكبائر[59]، وكمثالين على ذلك:

- أنَّ لوطا عليه السلام زنى بابنتيه الكبرى والصغرى، بعد أن سقياه الخمر ثم حملتا منه[60]، فقد ورد في التوراة: **[30 وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ وَابْنَتَاهُ مَعَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي**

الْمَغَارَةِ هُوَ وَبْنَتَاهُ. [31]وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. [32]هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْراً وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً»] [(61)].

- أن داود عليه السلام زنى بأوريًا الحثّي وهي امرأة أحد جنوده ، ثم أرسل زوجها إلى الحرب وأمر بتقديمه في أول الحرب ليقتل[(62)]، جاء في التوراة: **[2وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدّاً. 3فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هَذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟» 4فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. 5وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى».]** [(63)] يقول ابن حزم:"وتالله ما رأيت أمة تقر بالنبوة، وتنسب إلى الأنبياء ما يشبه هؤلاء الكفرة"[(64)].

- **تناقض النصوص:** إذا كان ابن حزم قد انطلق في نقده للقائمتين السابقتين من منطلق ديني، أي أنه كان يعرض التوراة على مقياس ديني، فإنه في هذه القائمة قد أصبح يعتمد على أساس عقلي واضح، إذ يعتمد على أسلوب المقارنة ثم يستخرج النتيجة التي تثبت اضطراب النص الذي يقوم بفحصه[(65)]، وتوصل إلى كثير من وجوه التناقض ومن أبرز وجوه التناقض نجد:

تناقض النص مع نفسه، كأن تذكر التوراة مثلا أن الله قرر أعمار البشر بمئة وعشرين سنة، ثم تورد أسماء كثير من الأشخاص والأنبياء فاقت أعمارهم هذا الرقم[(66)]. وتناقض النص مع نص آخر في نفس النسخة من التوراة، كذكر التوراة مثلا أن رؤية الله قد وقعت لبعض بني إسرائيل **[14وَيَقُولُونَ لِسُكَّانِ هَذِهِ الأَرْضِ الذِينَ قَدْ سَمِعُوا أَنَّكَ يَا رَبُّ فِي وَسَطِ هَذَا الشَّعْبِ الذِينَ أَنْتَ يَا رَبُّ قَدْ ظَهَرْتَ لَهُمْ عَيْناً لِعَيْنٍ وَسَحَابَتُكَ وَاقِفَةٌ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ سَائِرٌ أَمَامَهُمْ بِعَمُودِ سَحَابٍ نَهَاراً وَبِعَمُودِ نَارٍ لَيْلاً.]** [(67)]، وفي موضع آخر ورد في التوراة: **[12فَكَلَمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلامٍ وَلَكِنْ لَمْ تَرُوا صُورَةً بَل صَوْتاً.]**[(68)].

وتناقض النص مع نص آخر في نسخة أخرى من نسخ التوراة، فقد ورد مثلا في النسخة التي اعتمدها ابن حزم في دراسته: **[24فَطَرَدَ الإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ.]"** ، وفي نسخة أخرى: **[24وَوكلَ بالجنان المُشْتهر إسْرَافيل وَنَصب بَيْنَ يَدَيْه رُمْحًا نَارِيًا لِيحْفَظَ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ.]** [(69)]. وهنا يعقب ابن حزم قائلا: "إن لم يكن أحدهما خطأ من المترجم، وإلا فلا أدري كيف هذا؟!"[(70)].

وأخيرا يعتمد ابن حزم في إظهار تناقض التوراة على ما ورد في القرآن الكريم، فقد ورد مثلا في التوراة **[1وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ 2فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاثَةُ رِجَالٍ وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ 3وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. 4لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا**

تَحْتَ الشَّجَرَةِ [5]فَاَخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هَكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ».][71]. يتتبع ابن حزم هذه القصة في التوراة ليستخرج منها نقاط تكشف عن التناقض، إما في داخل القصة ذاتها، وإما مع المبادئ الثابتة لدى اليهود[72]، يقول ابن حزم:"فأول إخباره أن الله تعالى تجلى لإبراهيم، وأنه رأى الثلاثة نفر فأسرع إليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية، فإن كان أولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعينه .. وإن كان أولئك الثلاثة ملائكة وهكذا يقولون فعليهم في ذلك أيضا فضائح عظيمة، وكذب فاحش"[73]. ورد في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (70) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73)**﴾[74]، إذ يثبت القران الكريم أن من جاء إلى إبراهيم عليه السلام هم أربعة ملائكة في صورة بشرية محتفظين بخصائصهم الملائكية، وأبلغوا إبراهيم عليه السلام أنهم مرسلون إلى قوم لوط لإهلاكهم على كثرة فسادهم، وبشروا امرأة إبراهيم عليه السلام بغلام هو اسحاق عليه السلام[75]، وهذه القصة خالية من أي مخالفة شرعية بعكس القصة المحرفة في توراة اليهود.

- **الأخطاء العلمية:** تشتمل هذه القائمة على مجموعة من الأخطاء العلمية التي رصدها ابن حزم في توراة اليهود، وتتعلق هذه الأخطاء بالحساب[76]، وذلك مثلا في حسابه لأعمار الأنبياء وتداخل تواريخهم مع بعضها البعض، فتذكر التوراة مثلا أن نوحا عليه السلام لما بلغ خمس مائة سنة ولد له يافث وسام وحام، ثم تذكر أن نوحا عليه السلام لما بلغ ستمائة سنة كان الطوفان، ولسام يومئذ مئة سنة، وأن سام ابن نوح عليه السلام لما كان ابن مئة سنة ولد له ارفخشاد لسنتين بعد الطوفان، فهذا خطأ في عامين.. ويختم ابن حزم قوله في حديثه عن الأخطاء الحسابية: "إن الذي عمل لهم التوراة التي بأيديهم كان قليل العلم بالحساب، ثقيل اليد فيه جدا"[77]. وأخطاءً في التاريخ، ففي سفر الخروج مثلا نجد أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت 430 سنة[78]، وفي سفر التكوين 400 سنة[79]، وبحساب عمر يعقوب عليه السلام، ثم أعمار الأجيال إلى زمن الخروج مع موسى عليه السلام فيجتمع منها 350 سنة، فأين الثمانون سنة الباقية من جملة أربعمائة وثلاثين سنة[80].

وسجل في الجغرافيا مجموعة من الأخطاء، كالأخطاء الخاصة بتحديد الأنهر الأربعة الخارجة من الجنة، واستشهد بمعلومات صحيحة عن منابع النيل، ومجرى الفرات..[81]، وأخيرا طبائع العمران، وبدائة العقل، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في التوراة من تحويل ماء النيل ومصر كلها إلى دم على يد موسى وهارون عليهما السلام، وأن السحرة فعلوا ذلك، وهنا يتساءل ابن حزم: "أي ماء بقي حتى يفعل السحرة

ذلك؟ فإن قال اليهود بأن السحرة قلبوا ماء الآبار التي حفروها بجوار النيل، فيتساءل ابن حزم مرة ثانية: ومن أين شرب أهل مصر في فترة حفر الآبار وهم بلا ماء أصلا..[82].

ب- منهج الإمام الجويني في نقد العهد القديم:

ب-1- الإمام الجويني: هو الإمام شيخ الإسلام البحر الحبر، المدقق المحقق الأصولي المتكلم أبو المعالي عبد الملك بت عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوه الجويني، أحد كبار الشافعية، الملقب بإمام الحرمين، ولد في جوين من نواحي نيسابور سنة 419هـ، وتوفي سنة 478هـ، برع في علم الكلام، له عدة مؤلفات منها: (العقيدة النظامية)، (البرهان)، (الإرشاد)،(نهاية الطلب في دراية المذهب)،(الشامل،) (الورقات)، (مدارك العقول)، (غياث الأمم في الإمامة)، (غنية المسترشدين)...[83]

ب-2- منهجه: أثبت الإمام الجويني بما لا يدعو مجالا للشك إثبات وقوع التحريف والتبديل في التوراة، وذلك في كتابه (شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل)، الذي تناول فيه الموضوعات التالية: دعوى اليهود والنصارى عدم تحريف التوراة والإنجيل، وصف تاريخي لتدوين التوراة، عقد مقارنة بين التوراة العبرانية واليونانية، وذكر بعض تناقضات الأناجيل. ويتجلى منهجه في باب النقد اعتماده على المعطيات التاريخية ثم المقارنة بين التوراة العبرانية واليونانية.

ب-2-1- المعطيات التاريخية:

يؤكد الجويني بأن التوراة التي بيد اليهود الآن، هي من كتابة عزرا، بعد هجوم ملك بابل نبوخذ نصر، وصرح كذلك بأن كتابته للتوراة كانت قبل بعثة المسيح عليه السلام بخمس مائة وخمسة وأربعين سنة، ويبرهن على خطأ نسبة التوراة الحالية إلى موسى عليه السلام، بأن اليهود والنصارى قد صرحوا بوقوع الكذب في نسخ التوراة التي بيد كل طرف...، فاليهود يزعمون بأن النصارى بدلوا ما بأيديهم من النسخ...، والنصارى يزعمون أن اليهود بدّلوا ما بأيديهم من نسخ التوراة، فقد أجمع الفريقان على القول بوقوع التبديل، وهذا ينفي ما طرحه أهل الكتاب، من كون التحريف غير ممكن لعدم حصر نسخ التوراة، وعدم انقياد كل فرد من الأفراد لذلك التحريف، أضف إلى ذلك عدم عصمة عزرا من هذا الفعل، رغم ما يدعونه له من الفضل، خاصة وأنه كان حريصا على الرئاسة[84].

ب-2-2- المقارنة:

لجأ الإمام الجوينى إلى المقارنة لتأكيد التحريف والتبديل بين نسخة اليهود والنصارى، باعتبار أن هذه المقارنة عُقدت بين نصوص التوراة التي بيد اليهود، ونصوص أخرى بيد النصارى، لذلك فهي أبلغ في إثبات وقوع التحريف، وقد ركز المؤلف هنا على النصوص التي تناولت أعمار الآباء الأوائل، من آدم إلى نوح عليهما السلام، ومن نوح إلى إبراهيم عليهما السلام، فكان يذكر ما في التوراة العبرانية، ثم يذكر ما في التوراة اليونانية، وفيما ملخص ما ذكره بدءا بقوله[85]: "ونحن نذكر الآن ما يكذب النسختين فنقول":

- تذكر التوراة التي بيد اليهود أن آدم عليه السلام، حين مضى عليه مائة وثلاثون سنة ولد له شيت أما عند النصارى مائتان سنة.

- تذكر التوراة التي بيد اليهود أن شيت حين مضى عليه ستمائة سنة ولد له أنوش، أما عند النصارى سبعمائة سنة.

- تذكر التوراة العبرانية أن أنوش حين مضى عليه تسعون سنة ولد له قينان، أما عند النصارى مائة وتسعون سنة.

- تذكر التوراة العبرانية أن قينان حين أتى عليه سبعون سنة ولد له مهللئيل، بينما عند النصارى مائة سبعون سنة.

- تذكر التوراة العبرانية أن مهللئيل ولد له يارد حين عاش خمسا وستين سنة، أما عند النصارى مائة وستون سنة.

- تتفق النسختان على عمر يارد حين ولد له أخنوخ.

- تذكر العبرانية أن أخنوخ حين أتى عليه خمس وستون سنة، ولد له متوشالح، وفي النسخة اليونانية مائة خمس وستون.

- تتفق النسختان على عمر متوشالح حين ولد له لامك مائة سبع وثمانون سنة، وعلى عمر لامك حين ولد له نوح عليه السلام وهو مائة واثنتان وثمانون سنة، وعلى عمر نوح عليه السلام حين ولد له سام خمس مائة سنة، وعلى عمر سام حين ولد له افركشاد وهو مائة سنة ولد لأفركشاد شالح بعد أن عاش خمسا وثلاثين سنة.

- تذكر التوراة العبرانية أن شالح ولد له عابر حين مضى عليه ثلاثون سنة، وفي النسخة اليونانية مائة ثلاثون.

- تذكر التوراة العبرانية أن عابر لما بلغ أربعا وثلاثين سنة ولد له فالج، وفي النسخة اليونانية مائة وأربع وثلاثين.

- تذكر التوراة العبرانية أن فالج لما بلغ ثلاثين سنة ولد له راعوا، وفي النسخة اليونانية مائة وثلاثين.

- تذكر التوراة العبرانية أن رعو حين بلغ اثنتين وثلاثين سنة ولد له سروج، وفي النسخة اليونانية مائة واثنتين وثلاثين.

- تذكر التوراة العبرانية أن سروج حين بلغ ثلاثين سنة ولد له ناحور، وفي النسخة اليونانية مائة وثلاثين.

- تذكر العبرانية أن ناحور بلغ تسعا وعشرين سنة حين ولد له تارح، وفي النسخة اليونانية تسع وسبعون، وتارح ولد له إبراهيم وهو ذو سبعين سنة[86].

الهوامش:

(1)- أبا الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور (ت 711هـ)، **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، مج5، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص 4517.

(2)- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص 944.

(3)- Encyclopédie AZ, Edition Atlas, Paris, 1979, p 1591.

(4)- Dictionnaire encyclopédique Quillet, LAQ, Paris, 1975, p 1607.

(5)- فريد الأنصاري، **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، ط1، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، 1997، ص 98.

(6)- أندريه لالاند ، **موسوعة لالاند الفلسفية**، تع: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 2001، ص 238.

(7)- L. Mounloubou, FM. Dictionnaire Biblique Universel, Paris Desclée,1984, p 150-151.

(8)- Dictionnaire encyclopédique Quillet, OP.Cit, p 107.

(9)- La grande encyclopédie Larousse, Tome 08, Librairie Larousse, Paris, 1972, p 1690.

(10)- يوسف الكلام، **تاريخ وعقائد الكتاب المقدس** –يعنى إشكالية التقنين والتقديس، دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي-، ط1، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2009، ص 29.

(11)- محمد علي برّو العاملي، **الكتاب المقدس في الميزان**، (د.ط) الدار الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ص 54.

(12)- سورة البقرة، الآية: 136.

(13)- محمد علي برّو العاملي، المرجع السابق، ص 54.

(14)- محمد علي البار، **المدخل إلى دراسة التوراة والعهد القديم**، ط1، دار القلم، دمشق، 1990، ص 112.

(15)- أسامة محمد أبو نحل، نقد نماذج لروايات العهد القديم من خلال القرآن الكريم والدراسات الحديثة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، مج14، العدد 2، 2006، ص 175. ينظر كذلك: صلاح عبد الفتاح الخالدي، **حديث القرآن عن التوراة**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص 179.

(16)- سورة المائدة، الآية: 44.

(17)- أسامة محمد أبو نحل، المرجع السابق، ص 175.

(18)- سورة البقرة، الآية: 75.

(19)- أبي الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، ابن كثير (ت 774هـ/1372م)، **تفسير القرآن الكريم**، ج (1-2)، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2002، ص 228.

(20)- سورة النساء، الآية: 46.

(21)- ابن كثير، المصدر السابق، ص 756.

(22)- نعيمة إدريس، **أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008، رسالة غير منشورة، ص 14-15.

(23)- **الجرح والتعديل**: **الجرح لغة**: مصدر جرحه بجرحه جرحا أي أثر فيه بالسلاح. ينظر: ابن منظور، المرجع السابق، مج1، ص 586. **واصطلاحا**: هو الطعن في الراوي بما يثلم عدالته أو يخل بضبطه مما يترتب عليه سقوط روايته أو ضعفها، والتجريح وصف الراوي بصفات تقتضي تضعيف روايته أو عدم قبولها. **والتعديل لغة**: مأخوذ من العدل، **واصطلاحا**: هو

وصف الراوي بصفات توجب قبول خبره. **أما علم الجرح والتعديل:** فهو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الألفاظ، وقيل علم يعني بتوثيق وتجريح الرواة بألفاظ مخصوصة. ينظر: عصام أحمد البشير، **أصول منهج النقد عند أهل الحديث**، ط2، مؤسسة الريان، بيروت، 1992، ص 16-18.

(24)- إبراهيم أحمد الديبو، ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج 23، العدد الثاني، 2007، ص 455.

(25)- فؤاد سزكين، **محاضرة في تاريخ العلوم**، (د.ن)، الرياض، 1979، ص 455.

(26)- عبد الرحمن بدوي، **مناهج البحث العلمي**، ط3، وكالة المطبوعات، الكويت، 1988، ص 194-195.

(27)- نفسه، ص 187.

(28)- إبراهيم أحمد الديبو، المرجع السابق، ص 455-456.

(29)- عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص 187-188.

(30)- مصطفى زرهار، **مقاربات في دراسة النص التوراتي** –سفر راعوث أنموجا-، ط1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2012، ص 189.

(31)- سورة المائدة، الآية: 13.

(32)- مصطفى زرهار، المرجع السابق، ص 189.

(33)- سورة البقرة، الآية: 79.

(34)- مصطفى زرهار، المرجع السابق، ص189-190.

(35)- أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608هـ/681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مج3، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1980، ص 325-326. ينظر كذلك: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ/1274م)، **سير أعلام النبلاء**، ج 18، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقوسي، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص ص 184-190.

(36)- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المصدر السابق، ص 190.

(37)- إبراهيم أحمد الديبو، المرجع السابق، ص 453.

(38)- نفسه، ص 454.

(39)- عبد الوهاب عبد السلام طويلة، **توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي**، ط1، دار القلم، دمشق، 2004، ص 13.

(40)- حامد طاهر، منهج النقد التاريخي عند ابن حزم نموذج من نقد توراة اليهود، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، العدد 06، 1988، ص 613.

(41)- أبي محمد علي بن أحمد، ابن حزم الظاهري، (ت 456هـ/1064م)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تح: محمد ابراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، ج1، ط2، دار الجيل، بيروت، 1996، ص 287.

(42)- حامد طاهر، المرجع السابق، ص 615.

(43)- ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ص 290.

(44)- محمد عبد الله الشرقاوي، **في مقارنة الأديان** –بحوث ودراسات-، ط2، دار الجيل، بيروت، 1990، ص 104.

(45)- ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ص 297-298.

(46)- نفسه، ص 297.

(47)- نفسه، ص 294.
(48)- إبراهيم أحمد الديبو، المرجع السابق، ص 470.
(49)- ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ص 294.
(50)- نفسه، ص 300-301.
(51)- نفسه، ص 298.
(52)- ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ص 301.
(53)- إبراهيم أحمد الديبو، المرجع السابق، ص 471.
(54)- حامد طاهر، المرجع السابق، ص 620.
(55)- سفر التكوين (15: 13-16)
(56)- ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ص 213.
(57)- سفر التكوين (1: 26)
(58)- سفر التكوين (3: 22)
(59)- حامد طاهر، المرجع السابق، ص 622.
(60)- ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ص 223.
(61)-سفر التكوين (19: 30-32)
(62)- ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ص 239.
(63)- سفر صموئيل الثاني (11: 2-5)
(64)- ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ص 239.
(65)- حامد طاهر، المرجع السابق، ص 625.
(66)- ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ص 201.
(67)- سفر العدد (14: 14)
(68)- سفر التثنة (4: 12)
(69)- سفر التكوين (3: 24)
(70)- ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ص 208.
(71)- سفر التكوين (1: 5)
(72)- حامد طاهر، المرجع السابق، ص 628.
(73)- ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ص 220.
(74)- سورة هود، الآية: 69-73.
(75)- ابن كثير، المصدر السابق، ج2، ص 1474-1475.
(76)- حامد طاهر، المرجع السابق، ص 628.
(77)- ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ص 212.
(78)- سفر الخروج (12: 40-42)
(79)- سفر التكوين (15: 13)

(80)- ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ص 253.

(81)- نفسه، ص 203-205.

(82)- نفسه، ص 250.

(83)- تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (771هـ/1370م)، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج5، تح: محمود محمد الطناجي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت)، ص 165. ينظر كذلك: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المصدر السابق، ص 468

(84)- عبد الملك بن عبد الله يوسف أبي المعالي الجويني (ت478هـ/1085م)، **شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل**، تح: أحمد حجازي السقا، ط3، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1989، ص ص 36-38.

(85)- مصطفى زرهار، المرجع السابق، ص 196.

(86)- أبي المعالي الجويني، المصدر السابق، ص ص 38-42.